إلى الأب أنستاس مارى الكرملى

لا... بل النحاة واللغويون ثقات!

للأستاذ عبد الحميد عنتر

(تتمة ما نشر فى العدد الماضى)

القسم الرابع

فعلول (المفتوح الأول)

١ — جاء فى « الرسالة » بالعدد (٥٠٤) بين قوسين هكذا (المفعول الأول) ، بعد لفظ (فَعْلول) ولعله تحريف ، وصوابه (المفتوح الأول) .

٢ — أثبت الأب هنا قول اللغويين : إنه لم يجىء على زنة (فَعلول) إلا لفظ (صَعفوق) وهو اللئيم من الرجال ، أو بلدة باليمامة ؛ ثم أخذ ينفخ فى بوق (توت عنخ أمون الحربى) حتى أثارها حرباً شعواء ، أشنّها على جميع اللغويين : القدامى منهم والمحدثين . قائلاً : لقد فحصت ونقبت ، وحققت ودققت ، فإذا الكلمات التى جاءت على هذا الوزن تبلغ الثلاثين أو تزيد ، وإذن فيجب نقض القاعدة القائلة : « ليس لفعلول فى اللغة سوى حرف أو حرفين » وتذريتها فى الهواء هباء منثوراً . انتهى كلامه ببعض تصرف

قلت (وهو ختام القول) : إن الذى قاله اللغويون وتبعهم النحاة صحيح مستقيم ، وإن القاعدة التى أسسوها متينة سليمة .

وإيفاء بما وعدت من الإيجاز أجمل ردى فيما يلى :

١ — إن الـ ٢٩ حرفاً التى زادها الأب على كلمة (صعفوق) موزعة كما يأتى :

(بعضها) منكر لم يثبت إلا بطريق الاستنتاج ، وهو (صعقول) لضرب من الكمأة !

(وبعضها) روى بالضم والفتح ، ولكن الضم أفصح وأشهر . من ذلك : عُصفور ودُستور وبُرغوث وخُرنوب (الخروب) وبرشوم (أبكر النخل بالبصرة)

(وبعضها) على زنة (فَعَلول) بفتحتين ، وهو (قَرَبوس) ، وسكون الراء لغة ضعيفة .

(وبعضها) على زنة (فَعْلون) لا (فعلول !) ومنه : حمدون وسعدون وخلدون وسحنون ، والضم فى هذا أفصح ، وعبدون ، ويكثر هذا الوزن فى الأعلام الشخصية .

٣ — عجبت كل العجب كيف يذكر الأب حمدون وما على شاكلته ، ممثلاً به لما جاء على (فَعلول) ، مع أن قواعد الميزان الصرفى تأبى ذلك كل الأباء . وإنما هى على زنة (فعلون) كما بنيت ، وكما هو مسطور فى كتب التصريف ! !

٣ — أتحدى « الأب » أن يأتى بكلمة واحدة ، عربية أو معربة ، جاءت على وزن (فَعْلول) بفتح فسكون باتفاق علماء اللغة غير سَعْفوقَ المعرب من اليونانية كما قيل . إن فعل ذلك كنت له من الشاكرين .

٤ — كثرة ممارستى لتدريس « علم الصرف » تسمح لى بأن أستنتج السر فى امتناع العرب من النطق بألفاظ على زنة (فَعْلول) استقلالاً .

وبيان ذلك ، أن العرب أكثرت من استعمال الألفاظ التى على وزن (فُعْلول) بضم الأول ، أصيلة ومعربة ، كالشمروخ (فرع العِذق) ، والأُثكول والعُثكول (كلاهما بمعنى الشمروخ ، والعُنقود والعصفور والدُّستور ، وغيرها كثير فى اللغة ، ولم تستعمل على زنة فَعْلول إلا صعفوق المعرب ، ومع ذلك روى فيه ضم الأول وإن كان ضعيفاً . والسر فى هذا خفة الانتقال من ضم إلى ضم بينهما سكون . فالضم فى الأول يناسب الواو التى قبل الطرف . أما بناء (فَعْلول) الذى

كلامنا فيه ، فأوله مفتوح . والفتحة لا تناسب الواو التي هي بنت الضمة ، ففيه الانتقال من الفتح ، وهو خفيف ، إلى الضم وهو ثقيل ؛ ولم يحفل العرب بالسكون المتوسط الذي يخفف أمر الثقل ؛ لأن الضم بعده سكون ثم ضم ، أسلس في لسانهم من فتح بعده سكون ثم ضم ؛ لذلك كان فتح الأول في الكلمات التي ورد فيها الضم لغة ضعيفة متروكة . وهذا تعليل لما اقتضاه ذوق العرب آمل أن يكون صحيحاً .

وبعد ، فقد أثبت البحث اللغوي ، أن النحاة واللغويين ، كانوا على يقين لا يخالجه شك ، حين قالوا : (ليس في اللغة اسم على وزن فعلول غير (صعفوق) وقد انعقد الإجماع على أنه معرب دخيل ! وإذن فليس للأب أنستاس ، ولا لنيره من أرباب البحوث اللغوية بعد هذا البيان — أن يرفع عقيرته فوق المنبر الأدبي العلمي العالمي منبر « الرسالة » بقوله : (لماذا لا أثق بأقوال النحاة ولا اللغويين) بل الأجدر به والأليق بمنزلته أن يقول : إن اللغويين والنحاة ، أعلام أثبات ثقات

وأقول أخيراً : إني لا أجد مثلاً للنحاة واللغويين مع الأب أنستاس ، إلا قول من قال :

أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الأبل

وقول الآخر :

أعلمه الرماية كل يوم فلما استد ساعده رماني
وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني

جعلنا الله بحلية الأدب ، وجنبنا مواقع الخطل والزلل ، بمنه وكرمه .

عبد المجيد نتر
أستاذ بكلية اللغة العربية